رواية مصطفى الفقى

◄ محمد سلماوى

الدكتور مصطفى الفقى هو بلا جدال أحد أهم المشتبكين مع الواقع الفكرى والسياسى على المستويين المصرى أولا ثم العربى بشكل عام، فعلى مدى العقود الخمسة الأخيرة كان مصطفى الفقى فاعلا مؤثرا فى الحياة العامة،.حيث بدأ حياته العملية دبلوماسيا نشطا لا ينتمى لمدرسة القرن الـ١٩ التقليدية المعروفة باسم tip-toe diplomacy أو دبلوماسية أطراف الأصابع إذا شئت، والتى تتطلب أن يعمل الدبلوماسى بهدوء من وراء الستار ليصل لتحقيق مصالح بلاده دون ضجة تلفت الأنظار وتشعل المعارك. ومثل هذا المنهج مناقض تماما لشخصية الدكتور الفقى صاحب الرأى الحر والمجاهر بما يعتقد، وإن كان يقوم بتطويع خطابه السياسى وفق الموقف العام فتلك صفة السياسى المحنك فى تعامله مع الواقع المتغير دوما فى صيرورة لا تتوقف، لذلك كان طبيعيا أن ينطلق الدكتور الفقى من أسر الأطر الدبلوماسية المحافظة إلى رحاب الحياة السياسية على اتساعها، فانتقل فى قفزة واحدة إلى أعلى المؤسسات السياسية وهى رئاسة الجمهورية، ورغم أن العمل بالرئاسة يفرض على طاقمها قدرا من السرية والكتمان أكبر من العمل الدبلوماسى إلا أن الدكتور الفقى تعامل معها وفق قناعاته الشخصية وأسلوبه التلقائى الرحب، ومثلما لم يتقولب فى إطار العمل الدبلوماسى فقد اتسم عمله فى الرئاسة بقدر غير معتاد من التحرر، ولو قارنا بين مصطفى الفقى وبقية من عملوا فى مكتب رئيس الجمهورية من السفراء وغير السفراء نجد أن الاسم الذى يلمع دوما هو اسم مصطفى الفقى، بينما يظل بقية من شغلوا موقعه قبله وبعده شبه مجهولين، ولو ذكرت لك بعض أسمائهم لما تعرفت على واحد منهم، أما الدكتور مصطفى الفقى فقد مكنه أسلوبه الخاص من الانفتاح والتعامل مع مختلف دوائر المجتمع وهو ما كان يمكن أن يحقق للرئاسة مكاسب كانت تحتاجها، لكنها للأسف لم تدرك أهميتها، وقد وصف الرئيس مبارك الفقى وقتها بأنه «يلعب مراجيح الهواء بيننا وبين المعارضة»، وهكذا كان من الطبيعى أن ينطلق الدكتور مصطفى الفقى إن عاجلا أو آجلا من سياج العمل بمكتب رئيس الجمهورية إلى رحاب الحياة العامة حيث مكانه الطبيعى الذى عاد بالفائدة الفكرية والسياسية على المجتمع ربما أكثر من مجالات عمله السابقة، فالرجل صاحب عقل محلل من الدرجة الأولى مراقب ومتابع لكل ما يجرى على الساحة السياسية محليا وعربيا ودوليا، وقد دخل الحياة العامة حاملا معه بجوار قدراته الشخصية النادرة رصيد التجارب الثرية والمتنوعة التى اكتسبها من عمله الدبلوماسى الذى كشف أمامه قضايا السياسة العالمية، ومن عمله بالرئاسة الذى أطلعه على حقائق المجتمع الذى نعيشه والتى قد تغيب عن الكثيرين ممن يكتبون ويحللون أوضاع البلاد على مختلف الأصعدة، فأثرى حياتنا بفيض من الكتب القيمة مثل "تجديد الفكر القومى" و"الإسلام فى عالم متغير" وغيرهما، بالإضافة لفيض من الأبحاث والمقالات الصحفية الجادة، وامتد بممارسته السياسية فدخل البرلمان نائبا عن الشعب فى دورة سابقة. من ناحية أخرى فالدكتور مصطفى الفقى يتمتع بشخصية محببة تكسب ود الناس بلا مجهود أو عناء، كما أنه حكاء من الدرجة الأولى يعرف كيف يروى الواقعة بشكل يحسده عليه كتاب الإثارة والتشويق من الروائيين والمخرجين السينمائيين، لذلك فإنه حين يكتب روايته التى يحكى لنا فيها بعض تفاصيل ذلك الطريق الطويل الذى سلكه على مدى العقود الماضية تكون النتيجة هى ذلك الكتاب المشوق والقيم: «رحلة الزمان والمكان»، وهو كتاب لا تستطيع أن تتركه قبل أن تكمل صفحاته الخمسمائة، وقد صدق الناشر حين كتب على ظهر الغلاف : إن مسيرة الكاتب تؤكد أن الحياة ليست حقيقة ولكنها أيضا طريقة، ولقد قدم لنا مصطفى الفقى فى هذا الكتاب الاثنين معا فلا انفصال بينهما، الحقيقة التى لم يحد عنها فى روايته والطريقة التى ميزته فى التعامل مع تلك الحقيقة رغم تنوع مواقعه، من النشأة بقرية كوم النصر بمركز المحمودية بمحافظة البحيرة وحتى سنوات الدراسة الجامعية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة حيث برز اهتمامه بالشأن العام وانضمامه إلى التنظيم الطليعى على يد الدكتور حسين كامل بهاء الدين ومواصلته للدراسة الأكاديمية حتى الحصول على الدكتوراه. وبالكتاب فصل بعنوان على أعتاب الجامعة العربية يروى فيه المؤلف كيف حالت الظروف دون وصوله لمنصب أمين عام جامعة الدول العربية الذى كان مرشحا له، وكم كنت أتمنى أن يكون هذا الفصل مختلفا وأن يكتب فيه مصطفى الفقى تجربته فى موقع الأمين العام، لكن أتت الرياح بما لا تشتهيه السفن فخسر العمل العربى شخصية عربية فاعلة كان بإمكانها ترميم الكثير من التصدع الذى أصاب ذلك الصرح العتيد الواقع على ضفاف النيل بالقاهرة والمضى قدما بالعمل العربى الفاعل والمؤثر إلى الآفاق التى مازالت تتطلع إليها الشعوب العربية.